# منهج ابن عطية الغرناطي في توظيف وجوه الترجيح من خلال كتابه المحرر الوجيز

# Ibn ʿAṭiyya al-Ghirnāṭī's Method of employing the *preferring aspects* in his *Muḥarrar* al-Wajeez

| | |
|---|---|
| أ.د. طارق عثمان الرفاعي* | **Mr. Dr. Tariq othman al-rifai** |
| جامعة الملك فيصل- الأحساء، السعودية | **King faisal university - al-ahsa, saudi arabia** |

البريد الإلكتروني: *tebrahim68@gmail.com*

**معلومات المقال**

تاريخ الارسال: 2020/11/12

تاريخ القبول: 2021 /10/26

تاريخ النشر: 2021 /12/30

♦♦♦♦♦

**الكلمات المفتاحية:**

التحفيز: التميز: رؤية إسلامية، السنة لنبوية: القدوة.

**الملخص: ( لا يتجاوز 10 اسطر)**

تتناول هذه الدراسة منهج القاضي ابن عطية الغرناطي في توظيف وجوه الترجيح من خلال كتابه: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وجاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين وعدة مطالب، اشتمل التمهيد على التعريف بابن عطية الغرناطي ومكانته العلمية بين أهل العلم وتفسيره المحرر الوجيز وثناء العلماء عليه. وتناولت الدراسة في المبحث الأول أكثر صيغ الترجيح التي استخدمها ابن عطية في تفسيره، وفي المبحث الثاني تناولت الدراسة وجوه الترجيح عند الإمام ابن عطية أي الطرق والأساليب التي سلكها في ترجيح أحد الأقوال على غيره في معنى الآية.

وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها: تميز ابن عطية الغرناطي في استخدام ألفاظ الترجيح، فيستخدم اللفظ المناسب الذي يعطي ترجيحه قوة ومكانة. بالإضافة إلى اتباعه طرق وأساليب مختلفة في ترجيح أحد الأقوال على غيره في معنى الآية، وذلك بدلالات مختلفة، كالترجيح بدلالة نظائر القرآن، أو الترجيح بدلالة حديث صحيح، أو الترجيح بدلالة السياق، أو الترجيح بدلالة اللغة، أو الترجيح بالقراءات، أو الترجيح بدلالة العموم.

* المؤلف المرسل

**Abstract : (not more than 10 Lines)**

*This study examines Judge Ibn Attiya,s Al-Gharnati method of employing the wujuh Altarjih through his book : "Almuharar Alwajeez in tafsir Alkitab Aleaziyza"*

*The study came in a introduction and two subjects and several demands. The preface included the definition of Ibn Attiyah Al-Gharnati, and his book : "Almuharar Alwajeez in tafsir Alkitab Aleaziyza". In the first topic, the study examined the different weighting formulas that Ibn Atiyah used in his interpretation.*

*In the second topic, the study dealt with the object of weight at Ibn Attiy*

*The study concluded several results, including: Ibn Atiyyah Al-Gharnati distinguished in the use of the weighting terms, so he uses the appropriate word, which gives his weighting strength and status.*

*In addition to his followers different methods and methods in weighting the sayings, and that the meaning are different, weighting the meaning of the Qur'an, or weighting in terms of a Hadith, or weighting in terms of context, or weighting in terms In terms of the language...*

**Article info**

*Received* 12/11/2020
*Accepted* 26/10/2021
*Publication* 30/12/2021

♦♦♦♦♦

*Keywords:*

*Ibn Attiya,s Al-Gharnati, Almuharar Alwajeez, Method, preferring aspects .*

## 1. المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

أَمَّا بعدُ:

فيعدّ الإمام القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي أحد علماء الأمة الأفذاذ الراسخين في القرن السادس الهجري، وقد كان غزير العلم، كثير الاطلاع، صنّف العديد من المؤلفات من أشهرها تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" الذي يعد موسوعة تفسيرية جامعة اهتم فيه بالقراءات، وحرر كثيراً من مسائل علوم القرآن، كما اعتنى بالصناعة النحوية، والاحتكام للغة العربية، والاستشهاد بالشعر العربي في كثير من المسائل.

ولقد تميَّز الإمام ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز بمنهج فريد في توظيف وجوه الترجيح باتباعه طرق وأساليب مختلفة في ترجيح أحد الأقوال على غيره في معنى الآية. ولذا في هذا البحث قصدتُ أن أُسلط الضوء على منهجه في توظيف وجوه الترجيح من خلال تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

**موضوع البحث:**

منهج ابن عطية الغرناطي في توظيف وجوه الترجيح من خلال كتابه المحرر الوجيز.

**مشكلة البحث:**

استخراج صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام ابن عطية، وإلى أي مدى وظف وجوه الترجيح وتطبيقاتها في تفسيره "المحرر الوجيز".

**أهداف البحث:** يهدف هذا البحث إلى:

1- التعرف على منهج ابن عطية في توظيف وجوه الترجيح، وموقفه من الأقوال المرجوحة.
2- بيان صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن عطية.
3- الكشف عن مدى عناية ابن عطية في استعمال وجوه الترجيح وتطبيقها في تفسيره "المحرر الوجيز".

**الدراسات السابقة:**

حظيَ تفسير ابن عطية بعناية واهتمام من قبل الباحثين، لذا تعددت الدراسات وتنوعت فيه، فمنها ما تتناول منهجه وطريقته في التفسير، مثل: 1. منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب فايد

2. ابن عطية ومنهجه في تفسيره المحرر الوجيز للباحث/ إسلام فرح الخليفة، رسالة ماجستير بجامعة الخرطوم 2007م

وتناولت هاتان الدراستان منهجه وطريقته في التفسير ولم يتطرقا إلى ترجيحاته ومنهجه في توظيف وجوه الترجيح.

وهنالك دراسات أخرى تناولت ابن عطية وتفسيره من زوايا مختلفة (عقدية، أو بلاغية، أو نحوية، أو أصولية، ...) مثل:

1. التوجيهات الإعرابية في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية/ عرضًا ودراسة، للباحث/ أسامة عبد الرزاق، رسالة دكتوراه بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 1431هـ.

2. الإمام ابن عطية وآراؤه الاعتقادية من خلال تفسيره المحرر الوجيز، للباحث/ جمال حجيرة، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر،2010م

3. ترجيحات ابن عطية في تفسيره من أول الكتاب إلى نهاية سورة البقرة – عرضاً ودراسة – لعبد العزيز بن محمد الخليفة، رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1421 هـ

وغيرها من الدراسات، وهي لم تتناول منهج ابن عطية في توظيف وجوه الترجيح.

**منهج البحث:**

اقتضت طبيعة الدراسة أن أتبع المنهج الاستقرائي تارة، والمنهج التحليلي تارة أخرى.

**خُطّة البحث:**

يتكون البحث من تمهيد، ومبحثين، وعدة مطالب، وخاتمة، وتفصيل ذلك كما يأتي:

التمهيد؛ ويشتمل على:

- التعريف بالإمام القاضي ابن عطية الغرناطي ومكانته العلمية بين أهل العلم.
- التعريف بتفسيره المسمى بـ "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز".

المبحث الأول: وتناولت فيه صيغ الترجيح المختلفة التي استخدمها ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز.

المبحث الثاني: وتناولت فيه وجوه الترجيح عند الإمام ابن عطية (الطرق والأساليب التي سلكها في ترجيح أحد الأقوال على غيره في معنى الآية) وكان ذلك بدلالات مختلفة كالترجيح بدلالة نظائر القرآن، أو الترجيح بدلالة حديث صحيح، أو الترجيح بدلالة السياق، أو الترجيح بدلالة اللغة.

الخاتمة؛ وتشتمل على:

أهمُ نتائج البحث.

أسأل الله أن ينفع به، ويرزقني حسن القبول، ويهيئ لي من أمري رشداً، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## 2. المبحث التمهيدي: التعريف بالإمام ابن عطية الغرناطي، وكتابه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

### 1.2 المطلب الأول: التعريف بالإمام ابن عطية الغرناطي

- **اسمه ونسبه:** هو عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي القاضي المعروف، يكنى بأبي محمد.
- **مولده ونشأته:** ولد في مدينة غرناطة سنة (481هـ)، ونشأ في بيت علمٍ وفضلٍ. كان من قضاة الأندلس المشهورين.
- **أبرز صفاته:** كان مشهوراً بالذكاء والفطنة، وجودة الحفظ، وحسن الفهم.
- **العلوم التي نبغ فيها:** كان متعدد الثقافات، واسع المعرفة، برع في علوم كثيرة منها: التفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، واللغة والأدب.
- **مذهبه:** مالكي المذهب، بل من أعيان مذهب المالكية في بلاد الأندلس.
- **أشهر شيوخه:** أخذ العلم عن مشايخ كانوا رجالاً مؤثرّين في الحياة الأندلسية، من أشهرهم: والده الفقيه الحافظ أبوبكر غالب بن عطية المحاربي (ت 518هـ)، وأبو عبد الله محمد بن يحيى البكري، المعروف بابن الطلاع القرطبي، مفتي الأندلس ومسندها في الحديث (ت 497هـ)، وأبو علي الحسين الغساني، المعروف بالجياني (ت498هـ)، وأبوعلي حسين بن سكرة الصدفي، إمام محدّث زاهد (ت 514هـ). وغير هؤلاء كثير، قال ابن فرحون بعد أن ذكر عدداً من شيوخه: "وغيرهم من الجلّة تركتهم اختصاراً"[1].
- **من أشهر تلاميذه:** تتلمذ على يده خلق كثير، وحمل عنه العلم جم غفير، فمن أشهرهم ابنه حمزة بن عبد الحق، والإمام أبوبكر الإشبيلي (ت575هـ)، وأبوبكر بن طفيل القيسي صاحب رسالة حي بن يقظان (ت581هـ)، والإمام عبدالمنعم بن الفرس، صاحب أحكام القرآن (ت597هـ) وغيرهم كثير.

---

(1) ابن فرحون؛ الديباج المذهب: (58/2).

- **مكانته بين أهل العلم:** لقد حظي الإمام ابن عطية بمنزلةٍ رفيعةٍ ومكانةٍ عاليةٍ بين العلماء، تجلى ذلك في ثناء أهل العلم عليه في كتبهم، ومن هؤلاء:

1-الإمام الذهبي، قال في ترجمته: " وكان إماماً في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، قوي المشاركة، ذكياً فطناً مدركاً، من أوعية العلم"[(1)] .

2-ذكره ابن فرحون في الديباج ضمن أعيان مذهب الإمام مالك، وقال عنه: "كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، ...، وكان غاية في الدهاء والذكاء، والنهم بالعلم، سري الهمة في اقتناء الكتب، ولما ولي توخّى الحقَّ وعدل في الحكم، ..." [(2)].

3 -وقال السيوطي: "ألف تفسير القرآن العظيم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية، وغيرها" [(3)] وما ذكرناه من أقوال تدل على مكانة ابن عطية العلمية عند أهل العلم.

- **عام وفاته:** توفي رحمه الله بالرقة سنة (546ه) وقيل (541ه).

### 2.2 المطلب الثاني: التعريف بكتابه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)

يعد تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) من أجمع التفاسير وأميزها، فقد اختطّ فيه مؤلفه لنفسه خطًا يكاد يكون فريدًا في عصره جامعًا بين التحرير والدقة والإيجاز، قال عنه مؤلفه: "وقصدت فيه أن يكون جامعًا وجيزًا محررًا لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به وأُثبت أقوال العلماء في المعاني المنسوبة إليهم على ما تلقى من السلف الصالح رضوان الله عليهم القرآن من مقاصد العربية السليمة من الإلحاد" [(4)].

**قيمته العلمية:** لتفسير المحرر الوجيز قيمة علمية فائقة عند جميع المفسرين الذين أتوا من بعده، لذا تنوعت عباراتهم في الإشادة به والثناء عليه، ومن أمثلة هؤلاء: أبو حيان الأندلسي حيث قال: "هو من أجلِّ من صنّف في علم التفسير وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير"[(5)].

---

(1) الذهبي؛ سير أعلام النبلاء: (401/14).

(2) ابن فرحون؛ الديباج المذهب: (2/ 57).

(3) السيوطي؛ بغية الوعاة: (73/3)

(4) انظر: المحرر الوجيز (المقدمة).

(5) أبو حيان، البحر المحيط، (112/1).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثاً، وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير، لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه كلها"[1].

قال ابن جزي الكلبي: "وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعدلها، فإنه اطلع على تأليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة"[2].

- **مصادره:** اعتمد ابن عطية في تفسيره على مصادر عديدة من أهمها: تفسير (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري، ولم يكتف بنقل أقواله، بل كان يناقشها، ويردها أحياناً ويفندها بما استند عليه من أدلة، وهنا تتضح شخصية الإمام ابن عطية في نظر الباحثين. بالإضافة إلى مراجع أخرى كثر ورودها في تفسيره، كتفسير أبي بكر النقاش، وتفسير أبي العباس المهدوي، وتفسير مكي بن أبي طالب، وغيرهم. كما استفاد من كتب القراءات وعللها، واستفاد كذلك من كتب السيرة، وكتب الفقه والأصول، والعقائد، وكتب النحو واللغة، وغير ذلك.
- **منهجه في التفسير:** سلك ابن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز) مسالك المفسرين في الجمع بين التفسير بالمأثور والمعقول، إذ كان يميل إلى تفسير القرآن بالقرآن، فيختار من بين الآراء ويرجِّح بينها ما يوافق القرآن ويدعمه، كما كان يعتمد على المأثور من الأحاديث النبوية، ويتخير بين أقوال الصحابة والتابعين أصحها وأقربها لمقتضى الشرع ومقاصده؛ ولكن دون ذكر أسانيد المرويات، وكثيراً لا يذكر تخريج الأحاديث ويكتفي بذكر الصحابي راوي الحديث. ويقول عند الترجيح قال القاضي أبو محمد وهذه كنيته.

  رتّب تفسيره – كغيره من المفسرين المشهورين – حسب ترتيب المصحف الشريف ابتداء بسورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس.
- **طريقته في التفسير:** أما طريقته في التفسير، فإنه يذكر الآية، ثم يفسِّرها بعبارةٍ عذبةٍ سهلةٍ، متتبعاً فيها الألفاظ والمعاني لكيلا يترك لفظاً بلا تفسير، مبتعداً فيها عن أي غموض وتعقيد. ويورد القراءات متواترها وشاذّها، وأكثر منها، ويبين وجوهها في المعنى واللغة. كما اهتم بالصناعة

---

(1) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، (5/ 85).

(2) ابن جزي التسهيل لعلوم التنزيل، (1/ 20).

النحوية، والاحتكام للغة العربية، والاستشهاد بالشعر العربي في كثير من المسائل. وأيضاً يوضح الأحكام الفقهية التي نصَّت عليها الآية، دون الاستطراد فيما لم تنصّ عليه. وقد كان مالكي المذهب، ولا شك أن هذا ظهر على اختياراته الفقهية التي ذكرها.

ابتعد ابن عطية عن الاستشهاد بالإسرائيليات، وانتقد من سبقه من المفسرين لاعتمادهم عليها في تفسير كثير من الآيات، وقد عبّر عن هذا المعنى بقوله: " لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به "[1]. كما أنه نبّه في تفسيره على الأقوال التي تنحى منحى أهل الباطن والرموز[2].

- **أثره فيمن بعده:** لتفسير المحرر الوجيز أثر كبير في التفاسير التي جاءت بعده، خاصةً في المدرسة المغربية، ونجد هذا الأثر واضحاً في تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، والجواهر الحسان للثعالبي، وفي غيرها من كتب التفسير التي جاءت بعده.

## 3. المبحث الأول: صيغ الترجيح وألفاظه عند ابن عطية

قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب تناولت فيها الصيغ والألفاظ التي استعملها الإمام ابن عطية في ثنايا تفسيره المحرر الوجيز، وقبل أن نفصل في هذه المطالب نبين معنى لفظ الترجيح من حيث اللغة والاصطلاح، والمراد بصيغ الترجيح.

### 1.3 معنى لفظ الترجيح لغة واصطلاحاً:

✓ **الترجيح في اللغة:** مصدر رجَّح يرجِّح ترجيحاً، وتدور مادة (رَجَحَ) حول: الثقل والميل والرزانة والزيادة.قال ابن فارس: "(رَجَحَ) الراء وَالجيم والحاء أصل واحد: يدل على رزانة وزيادة، يقال: رجح الشيء، وهو راجح: إذا رزن"[3]. ويقال: رَجَح الميزان أي مال، وأرجحه: أثقله حتى مال، وراجَحْتُه فرجحته: كنت أوزَن منه، ورَجَحَ في مجلسه: ثَقُل فلم يَخِفّ، ورَجَّحه، أي: أرجحه وفضَّله وَقوَّاه[4].

---

(1) المحرر الوجيز، (1/ 34).

(2) انظر: في منهجه باستفاضة أكثر في كتاب منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، عبدالوهاب فايد، ص130-218.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (2/ 489).

(4) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (1/ 364)، لسان العرب، ابن منظور (2/ 445)، القاموس المحيط، الفيروز آبادي ص218، المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (1/ 329)، مادة (رَجَح).

✓ **الترجيح في الاصطلاح:** الترجيح في اصطلاح الأصوليين:"تقوية أحد الطريقين على الآخر ليعلم الأقوى فيعمل به، ويطرح الآخر"[1]. وقيل غير ذلك[2] ، والمراد بالترجيح في التفسير: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه، أو لتضعيف غيره من الأقوال[3].

✓ **العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:** أن الترجيح يعطي بعض الأقوال زيادة وقوة على غيرها، فالقول الراجح ارتفع، وزاد قوة على غيره من الأقوال.

**2.3 المراد بصيغ الترجيح عند ابن عطية:**

المراد بصيغ الترجيح عند ابن عطية هي العبارات التي استخدمها في تفسيره المحرر الوجيز في الدلالة على القول الراجح والضعيف من الأقوال.

ولقد تنوعت عبارات ابن عطية في صيغ الترجيح وأساليبه في بيان ما يختاره، وما يميل إليه من الأقوال في تفسير الآية كما عند غيره من المفسرين، فقد جاءت تعبيراته تارة صريحة، وتارة محتملة، ما جعل تفسيره ثرياً بالألفاظ الترجيحية المتعددة "وذلك أن تفسير الآية دون تنبيه على الراجح منها يضيع الحق ويظهر النقص على حاكيه"[4].

وفي المطالب التالية نشير إلى البعض من هذه الصيغ والألفاظ التي أكثر الإمام ابن عطية من استعملها في تفسيره المحرر الوجيز، مع ضرب مثال للتوضيح.

**3.3 المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح أو صحته أو صوابه أو تحسينه على غيره:**

تعتبر هذه الطريقة من أشهر الصيغ وأقواها عند المفسّرين ، وإذا ذَكرت طرق الترجيح وصيغه في الدلالة على القول الراجح فهي الصدر من ذلك، لأنه يراد بها الأخذ بالقول وردِّ ما سواه من الأقوال وقد تنوّعت صيغ التنصيص على القول الراجح عند الإمام ابن عطية من عدة طرق في تفسيره، ومن الأمثلة على بعض هذه الألفاظ والصيغ التي استعملها الإمام ابن عطية في تفسيره صيغة: (هو الأصح إن شاء الله)، ومن أمثلة هذه الطريقة عند الإمام ابن عطية ما قاله في المراد بـ (النفقة) التي حض الله عليها في قوله تعالى: ﴿**فاتّقُوا الله ما اسْتطعْتُمْ واسْمعُوا وأطِيعُوا وأنْفِقُوا خيْرا لِأنْفُسِكُمْ ومنْ يُوق**

---

(1) المحصول في علم الأصول، الرازي (5/ 397).

(2) انظر: الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، (8/ 145).

(3) الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، (1/ 35).

(4) المحرر الوجيز (55/1).

شُحَّ نفْسِهِ فأُولئِك هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[سورة التغابن: 10]، قال: "ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الحض هو على أداء الزكاة المفروضة، وذهب آخرون منهم إلى أن الآية في المندوب إليه، وهو الأصح إن شاء الله"[1]. ومن الصيغ التي استعملها ابن عطية في الترجيح صيغة: (والأول أصوب) ومن أمثلة ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[سورة القيامة: 31]. قال:"قوله (صَدَّقَ) معناه: برسالة الله تعالى ودينه، وذهب قوم إلى أنه من الصدقة، والأول أصوب"[2].

ومن الصيغ أيضًا (والأول أظهر)، ومن أمثلة ذلك ما قاله الإمام ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المنافقون: 9]، قال: "و(عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) هنا عام في التوحيد والصلاة والدعاء وغير ذلك من فرض ومندوب، هذا قول الحسن وجماعة من المفسرين، وقال الضحاك وعطاء وأصحابه: المراد بالذكر: الصلاة المكتوبة، والأول أظهر"[3].

ومن صيغ الترجيح أيضًا في تفسيره صيغة (أوجه) ومثال ذلك، قول ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[سورة الجن: 6]، قال ابن عطية: "هذه الألف من ﴿وَأَنَّهُ﴾اُختلف في فتحها وكسرها والكسر أوجه"[4].

ومن الصيغ أيضًا التي استخدمها الإمام ابن عطية في الترجيح: (وهو الصواب [5]، الأظهر[6]، إنما المعنى عندي[7]، وهذا أرجح الأقوال[8]، والقول الأول أشهر[9]، والأول أحسن في المعنى[10]، وهذا

---

(1) المرجع السابق (8/324-325).
(2) المرجع السابق (8/482)..
(3) انظر: المحرر الوجيز (8/315)..
(4) المرجع السابق: (8/428).
(5) انظر: المرجع السابق(8/221)..
(6) انظر: المرجع السابق(8/232)..
(7) المرجع السابق (8/221).
(8) المرجع السابق: (8/332).
(9) المرجع السابق: (8/278)
(10) المرجع السابق: (8/335).

أبين[1]، والذي يظهر لي[2] ، هذان القولان في مذهب مالك وهما حسنان[3]، والقول الأول يترجح[4] ، والتأويل الأول هو وجه الكلام[5]، والقول الأول أحرى في لغة العرب[6]، وهو ظاهر الآية...). وهذه الصيغ ظاهرة في الدلالة على الراجح من الأقوال في تفسير الآية، فهي تنص على وصف القول بصفة تدل دلالة ظاهرة على صوابه أو تحسينه أو ترجيحه، وإن كان بعضها أحيانًا أبين من بعض في بيان الراجح.

**4.3 المطلب الثاني: التنصيص على ضعف أو خطأ القول أو بطلانه أو استبعاده**

والمقصود بهذه الطريقة هو أن يذكر المفسر في معنى الآية قولين أو أكثر ثم يورد عبارة تدل على تضعيف أو خطأ أو استبعاد أحد الأقوال صراحة، فالقول الراجح يستدل عليه برد ما سواه من الأقوال الواردة في تفسير الآية. والغرض من إدراج صيغ التضعيف عند ابن عطية ضمن منهجه في الترجيح هو أن تضعيفه لقول من الأقوال، فيه دلالة على أن ما عداه هو الراجح عنده غالبًا. وهذه هي طريقة أهل العلم في الترجيح كما قال ابن عبد البر: "ولا خلاف بين أهل العلم والنظر أن المسألة إذا كان فيها وجهان فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما، أن الحق في الوجه الآخر، وأنه مستغنٍ عن قيام الدليل على صحته بقيام الدليل على بطلان ضده"[7].

وقد استعمل ابن عطية هذه الطريقة ورجح بها وصرح بمضمونها. ومن الأمثلة على ذلك: تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[سورة يونس: 27]، حيث قال: "وقوله الذي بين يديه يريد التوراة والإنجيل، والذي بين اليد هو المتقدم للشيء، وقالت فرقة في هذه الآية: إن الذي بين يديه هي أشراط الساعة وما يأتي من الأمور. قال القاضي أبو محمد: وهذا خطأ، والأمر بالعكس كتاب الله

---

(1) المرجع السابق:(327/8).
(2) المرجع السابق: (246/8).
(3) المرجع السابق: (292/8).
(4) المرجع السابق (272/8).
(5) المرجع السابق(319/8)..
(6) المرجع السابق (337/8).
(7) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر (20/199-200)

تعالى بين يدي تلك، أما أن الزجّاج تحفّظ فقال: الضمير يعود على الأشراط، والتقدير ولكن تصديق الذي بين يديه القرآن"[1] . قال الإمام ابن عطية في سورة الجمعة هل هي مدنية أم مكية؟: "وهي مدنية وذكر النقاش قولًا إنها مكية، وذلك خطأ ممن قاله؛ لأن أمر اليهود لم يكن إلا بالمدينة، وكذلك أمر الجمعة لم يكن قط بمكة، أعني إقامتها وصلاتها، وأما أمر الانفضاض فلا مِريَة في كونه بالمدينة، وذكر النقاش عن أبي هريرة قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ حين نزلت سورة الجمعة، وهذا أيضًا ضعيف لأن أبا هريرة ﷺ إنما أسلم أيام خيبر"[2].

قال الإمام ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[ الجمعة: 2]، "والْأُمِّيُّونَ: يراد بهم العرب، والأمي في اللغة الذي لا يكتب ولا يقرأ، منسوب إلى (أم القرى) وهي مكة، وهذا ضعيف؛ لأن الوصف بالْأُمِّيِّينَ –على هذا- يقف على قريش، وإنما المراد جميع العرب، وفيهم قال النبي ﷺ: « إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ؛ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا[3] »"[4].

قال الإمام ابن عطية: "وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وابن محيصن، والحسن، وطلحة، والأعرج: (والله متم) بالتنوين (نورَه) بالنصب. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والأعمش بالإضافة، وهي في معنى الانفصال، وفي هذا نظر"[5].

ومن الصيغ التي اعتمدها الإمام ابن عطية في ترجيحاته في التفسير في تضعيف بعض الأقوال أو ردها: (وهذا ضعيف[6]، وهذا قول أجنبي من المعنى الذي قبله والذي بعده[7]، وهذا غير قوي[8] ...

---

(1) انظر: المحرر الوجيز (481/11).
(2) انظر: المحرر الوجيز(299/8).
(3) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم (1831).
(4) انظر: المحرر الوجيز (8/ 300).
(5) انظر: المرجع السابق (295/8).
(6) انظر: المرجع السابق (299/8).
(7) انظر: المرجع السابق (251/8).
(8) انظر: المرجع السابق (248/8).

**5.3 المطلب الثالث: ترجيح قول بالنص على أن الأدلة تدل على صحته**

وذلك بأن يذكر قولًا أو عددًا من الأقوال ثم ينص على أن الأدلة تؤيد أحدها أو تعضده وبالتالي تكون هذه الأدلة شاهدة على ترجيحه لهذا القول. وهذه الطريقة في الترجيح قد يستعملها بعض المفسرين في الدلالة على القول الراجح.

**قال الماوردي:** " ذهب بعض أهل العلم إلى أن المعنى الذي يرجح بدليل أثبت حكمًا من المعنى الذي تجرد عنه ولقوته بالدليل الذي ترجح به، فهذا أصل يعتبر من وجوه التفسير، ليكون ما احتمله ألفاظ القرآن من اختلاف المعاني محمولًا عليه، فيعلم ما يؤخذ به ويعدل عنه"[1]. ومثال ذلك تفسير ابن عطية لقوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[سورة يونس: 38]. قال القاضي أبو محمد: "والتحدي في هذه الآية وقع بجهتي الإعجاز اللتين في القرآن:

إحداهما النظم والرصف والإيجاز والجزالة، كل ذلك في التعريف بالحقائق، والأخرى المعاني من الغيب لما مضى ولما يستقبل، وحين تحداهم بعشر مفتريات إنما تحداهم بالنظم وحده، قال القاضي أبو محمد: هكذا قول جماعة من المتكلمين، وفيه عندي نظر، وكيف يجيء التحدي بمماثلة في الغيوب ردًا على قولهم افتراه، وما وقع التحدي في الآيتين هذه وآية العشر السور إلا بالنظم والرصف والإيجاز في التعريف بالحقائق، وما ألزموا قط إتيانًا بغيب، لأن التحدي بالإعلام بالغيوب كقوله: ﴿**وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾[سورة الروم: 3]، وكقوله: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ**﴾[ سورة الفتح: 27] ونحو ذلك من غيوب القرآن فبين أن البشر مقصر عن ذلك، وأما التحدي بالنظم فبين أيضًا أن البشر مقصر عن نظم القرآن إذ الله عز وجل قد أحاط بكل شيءٍ علمًا، فإذا قدر الله اللفظة في القرآن علم بالإحاطة اللفظة التي هي أليق بها في جميع كلام العرب في المعنى المقصود، حتى كمل القرآن على هذا النظام الأول فالأول..."[2].

وجميع هذه الصيغ ظاهرة في الدلالة على الراجح من الأقوال في تفسير الآيات القرآنية، فهذه بعض الصيغ التي سار عليها الإمام ابن عطية واستخدمها في ترجيحه في تفسيره المحرر الوجيز.

---

(1) الماوردي، النكت والعيون، (1/ 40).

(2) انظر: المحرر الوجيز، (120/3).

## 4. المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند ابن عطية

تمت معالجة هذا المبحث في سبعة مطالب، وقبل أن ندلف إلى تفاصيلها يجدر بنا أن نبين مفهوم وجوه الترجيح من حيث اللغة والاصطلاح.

- **مفهوم وجوه الترجيح في اللغة والاصطلاح:** وجوه الترجيح مصطلح إضافي مركب من كلمتين، الكلمة الأولى وجوه، والثانية الترجيح، وقبل أن نبين التعريف الاصطلاحي لهذا المركب نتعرف على الجزئيات التي يتكون منها، لتكون مدخلًا مُوَضِّحًا للمعنى الإضافي المُرَكَّب لهذا المصطلح.

**(أ) معنى كلمة الوجوه في اللغة:** الوجوه لغة: جمع وجه، ويطلق الوجه على عدة معانٍ منها:

وَجَّه الشيء أي جعله إلى جهة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ**﴾[سورة النحل: 76] أي إذا وجهه إلى أي جهة لا يأت بخير قط.

ومنها وَجْهَ الشيء أى بيّن وجهه، أو جعله ذا وجه، أي شرفه وعظمه، ويقولون: لكلامك وجه أي صحة. ووَجْهُ الْكَلَامِ: السبيلُ الَّذِي تَقْصِدُهُ بِه[(1)] .

**(ب)** أما الكلمة الثانية من هذا المركب وهي كلمة (الترجيح) سبق وأن بينا معناها لغةً واصطلاحًا مما يغني عن إعادته هنا.

**(ج) معنى وجوه الترجيح اصطلاحاً:** ومما سبق يتبين أن المراد بوجوه الترجيح كمركب إضافي هو: الطرق والأساليب التي تتبع في ترجيح أحد الأقوال على غيره في معنى الآية، وذلك بدلالات مختلفة.

والمراد بوجوه الترجيح عند ابن عطية هو: تقوية أحد الأقوال في تفسيره المحرر الوجيز لدليل من الأدلة، ويُؤيد قوله بقاعدة من قواعد الترجيح المعروفة عند المفسرين. وبمعنى آخر المراد بوجوه الترجيح هو الطرق والأساليب التي سلكها في ترجيح أحد الأقوال على غيره في معنى الآية، وذلك بدلالات مختلفة، كالترجيح بدلالة القرآن، أو الترجيح بدلالة حديث صحيح، أو الترجيح بدلالة السياق، أو الترجيح بدلالة القراءات القرآنية، أو بدلالة اللغة العربية، أو الترجيح بدلالة الناسخ والمنسوخ، أو الترجيح بدلالة العموم ...ونحو ذلك من الوجوه. ونفصل القول فيها في المطالب التالية:

### 1.4 المطلب الأول: الترجيح بدلالة النظائر القرآنية:

---

(1) انظر: لسان العرب (555/13).

إن من أشرف أنواع التفسير وأجلها هو تفسير القرآن بالقرآن، لأنه لا أحد أعلم بمعاني كلام الله من الله عز وجل.

**قال الفخر الرازي:** "تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب، والله أعلم "[1].

**وقال ابن تيمية:** "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر" [2].

وقد اهتم الإمام ابن عطية بهذا الوجه من أوجه الترجيح وهو: الترجيح بدلالة آية قرآنية أو آيات قرآنية، وهو أقوى الأدلة عند الاختلاف في تفسير آية من كتاب الله عز وجل، وعليه "فإن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدِم ذلك"[3].

وقد تفنن الإمام ابن عطية في الاستدلال بهذا الوجه واستعمله كثيرًا، فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[سورة البقرة: 29]، قال القاضي أبو محمد: "قوله تعالى: **(وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** معناه: بالموجودات وتحقق علمه بالمعدومات من آيات أخر، وهذا يقتضي أن الأرض وما فيها خُلق قبل السماء وذلك صحيح ثم دحيت الأرض بعد خَلق السماء، وبهذا تتفق معاني الآيات والتي في سورة المؤمن والنازعات"[4]. ويقصد بالآيات في سورة المؤمن قوله: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[سورة فصلت: 12.9]، ويريد قوله في النازعات: ﴿**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾[سورة النازعات: 27.30]

---

(1) الغيب، الرازي (35/10).

(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (363/13).

(3) الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، (312/1)

(4) المحرر الوجيز، (183/1).

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما ذكره ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[سورة يونس: 64]، حيث قال: "وأما بشرى الدنيا فتظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له، روى ذلك عن رسول الله ﷺ أبو الدرداء وعمران بن حصين وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وغيرهم، على أنه سئل عن ذلك ففسره بالرؤيا، وعن النبي ﷺ في صحيح مسلم أنه قال: «لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة»، وروت عنه أم كرز الكعبية أنه قال: «ذهبت النبوءة وبقيت المبشرات»، وقال قتادة والضحاك: البشرى في الدنيا هي ما يبشر به المؤمن عند موته وهو حي عند المعاينة. قال القاضي أبو محمد: ويصح أن تكون بشرى الدنيا في القرآن من الآيات المبشرات، ويقوى ذلك بقوله في هذه الآية "لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ"[(1)] .

### 2.4 المطلب الثاني: الترجيح بدلالة السنة النبوية

من أوجه الترجيح المعتمدة الترجيح بدلالة السنة، وذلك أنها مبينة وشارحة وموضحة للقرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ حجة يلزم الامتثال بها، لأنه أعلم الناس بتفسير وبيان كلام الله عز وجل قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[سورة النحل: 44] قال ابن تيمية بعد ذكره لتفسير القرآن بالقرآن: " فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾[سورة النساء: 105].

ولهذه الطريقة أهمية كبيرة في تفسير ابن عطية، فتفسيره لكثير من الآيات يعتمد على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، وهي طريقة اعتمدها كثير من العلماء في ترجيحهم بين الأقوال.

وقال ابو جعفر النحاس: "أَنَّ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَسَعْ أَحَدً رَدُّهُ"[(2)] . وقرر كثير من المفسرين قواعد في تقديم التفسير النبوي للآية على ما سواه ومن ذلك قاعدة: "إذا ثبت الحديث وكان نصًا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره"[(3)] .

---

(1) انظر: المحرر الوجيز (499/11).

(2) الناسخ والمنسوخ، النحاس (690/1)

(3) الحربي، قواعد الترجيح، (191/1)

ذكر ابن عطية في مواطن كثيرة من تفسيره ما جاء من الأدلة النبوية شاهد على الآيات المفسرة تأييدًا وترجيحًا، ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه تفسيره لقوله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا...**﴾[سورة الحديد: 10] "واختلف الناس في الْفَتْح المشار إليه في هذه الآية، فقال أبوسعيد والشعبي: هو فتح الحديبية، وقد تقدم في سورة الفتح تقدير كونه فتحًا، ورفعه أبو سعيد الخدري إلى النبي ﷺ أن أفضل ما بين الهجرتين فتح الحديبية. وقال قتادة ومجاهد وزيد بن أسلم: هو فتح مكة الذي أزال الهجرة. قال القاضي أبو محمد: وهذا هو المشهور الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) [(1)] ، وقال له رجل بعد فتح مكة: أبايعك على الهجرة، فقال رسول الله ﷺ: (الهجرة قد ذهبت بما فيها، وإن الهجرة شأنها شديد، ولكن أبايعك على الجهاد) [(2)] ، وحُكم الآية باقٍ غابر الدهر من أنفق في وقت حاجة السبيل أعظم أجراً ممن أنفق مع استغناء السبيل"[(3)] .

### 3.4 المطلب الثالث: الترجيح بدلالة السياق

والسياق هو: حدو الشيء، يقال: ساقه يسُوُقه سوقاً[(4)] . والمراد به تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، ويقصد بدلالة السياق: بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له.

ومراعاة دلالة السياق من أقوى الطرق لفهم نصوص كتاب الله عز وجل، وقد اعتمد كثير من أهل التفسير وغيرهم على وجه الترجيح بدلالة السياق، وذكروا أنه متفق عليها في مجاري كلام الله. يقول مسلم بن يسار: "إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[(5)] ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج"[(6)] .

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم (2912)، ومسلم في صحيحه، حديث رقم (1353

(2) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم (4054).

(3) انظر: المحرر الوجيز (8/ 222- 223).

(4) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (117/3)، وابن منظور، لسان العرب، (166/10)

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (13/1).

(6) مجموع الفتاوى (94/15).

والترجيح بهذا الوجه (دلالة السياق) من وجوه الترجيح المعتمدة التي سار عليه العلماء قديماً وحديثاً.

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري – معللًا لأحد ترجيحاته -: "وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب؛ لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها إذ كانت في سياق واحد"[1] ، وقال القاسمي: "وأولى الأقوال: ما دلّ عليه الكتاب في موضع آخر، أو السنة، أو إجماع الأمة، أو سياق الكلام، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق-كان الحمل عليه أولى"[2] .

اهتم ابن عطية بالنظر في سياق الآية من حيث سباقها ولحاقها، حيث أنه تعينه على تعيين القول الراجح. ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[سورة البقرة: 47]، قال القاضي أبو محمد: "قد تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة ـ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ـ وفائدة ذلك أن الخطاب الأول يصح أن يكون للمؤمنين ويصح أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرر إنما هو للكافرين، بدلالة ما بعده وأيضًا فيه تقوية التوقيف وتأكيد الحض على ذكر أيادي الله ..." [3] ، ويقصد بعبارة بدلالة ما بعده (السياق).

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[سورة المجادلة: 10] حيث قال: "واختلف الناس في النَجْوى التي هي من الشيطان التي أخبر عنها في هذه الآية، فقال جَماعَةٌ من المفسرين أراد: إِنَّمَا النَجْوى في الإثم والعدوان ومعصية الرسول من الَشيطان، وقال قتادة وغيره: الإشارة إلى نجوى المنافقين واليهود، وقال عبد الله بن زيد بن أسلم: الإشارة إلى نجوى قوم من المسلمين كانوا يقصدون مناجاة النبي ﷺ ، وليس لهم حاجَةٌ ولا ضَرُورَةٌ إلى ذلك، وإنما كانوا يريدون التَنَجُّحَ بذلك، وكان المسلمون يظنون أن تلك النَجْوى في أَخْبارٍ بِعَدُوٍّ قاصِدٍ ونحوه، وهذان القولان يُعَضِّدُهُما ما يأتي من ألفاظ الآية، ولا يُعَضِّدُ القول الأول، وقال عَطِيَّةُ العَوْفِيّ في هذه الآية: نزلت في

---

(1) الطبري، جامع البيان، (5/ 567).

(2) القاسمي؛ محاسن التأويل، (1/ 163).

(3) المحرر الوجيز (208/1).

المنامات التي يراها المؤمن فَتَسُوءُهُ، وما يراه النائم فكأنه نجوى يُناجى بها. قال القاضي أبو محمد: وهذا قول أجْنَبِيٍّ من المعنى الذي قبله والذي بعده"[1].

**4.4 المطلب الرابع: الترجيح بدلالة القراءات**

وهذا الوجه من أوجه الترجيح المعتمدة عند المفسرين في تقوية الأقوال المختارة، وقد قرر بعض العلماء أن تعدد القراءات بمثابة تعدد الآيات. وقد اعتمد الكثير من أهل العلم الترجيح بالقراءات لبيان معاني الآيات القرآنية.

قال الأمين الشنقيطي: "إن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الآيتين، كما هو معروف عند العلماء،"[2] .

وقد التزم الإمام ابن عطية إيراد القراءات المشهورة والشاذة وبيان ما تحتمله هذه القراءات من المعاني، وذكر في مواضع كثيرة من تفسيره، أنه قرر ذلك في مقدمته.

ومن أمثلة استخدامه لهذا الوجه من وجوه الترجيح عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[سورة يونس: 81]، قال ابن عطية:" وقرأ السبعة سوى أبي عمرو (السحر) وهي قراءة جمهور الناس، وقرأ أبو عمرو ومجاهد وأصحابه وابن القعقاع (به السحر) بألف الاستفهام ممدودة قبل (السحر). فأما من قرأ (السحر) بغير ألف استفهام قبله ف (ما) في موضع رفع على الابتداء وهي بمعنى الذي وصلتها قوله (جئتم به) والعائد الضمير في (به) وخبرها السحر، ويؤيد هذه القراءة والتأويل أن في مصحف ابن مسعود (ما جئتم به سحر)، وكذلك قرأها الأعمش، وهي قراءة أُبيْ بن كعب، (ما أتيتم به سحر)"[3].

**5.4 المطلب الخامس: الترجيح بدلالة اللغة:**

لقد أولى الإمام ابن عطية الجانب اللغوي في تفسيره اهتمامًا كبيراً وبرز فيه، وذلك إدراكاً منه لأهمية هذا الوجه الترجيحي. وكتاب الله عز وجل أفصح الكلام، نزل بلغة العرب أفصح اللغات وأشهرها، نزل بلسان عربي، قال تعالى: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[سورة الشعراء: 195] فمن أراد فهم معاني القرآن الكريم، وإدراك مراميه، لابد أن يكون عالماً باللغة التي أنزل بها، متقنًا لها، قال تعالى:

---

(1) المرجع السابق (8/ 250-251).

(2) الشنقيطي؛ محمد الأمين، أضواء البيان، (1/ 330).

(3) المحرر الوجيز (511/11)

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[سورة يوسف: 2]. "ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه"[(1)].

ويعتبر الإمام ابن عطية من أجلّ العلماء في هذا الجانب، فكان يحتكم إلى اللغة وأشعار العرب فيما يرجحه في كثير من المعاني التي يختارها، وقد أسهب وفصّل في ذكر مسائل النحو والإعراب، وكانت إحدى ركائز ترجيحه للأقوال المختارة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[سورة الملك: 15]، قال ابن عطية: "واختلف المفسرون في معنى: (المناكب)؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: مناكبها أطرافها، وهي الجبال، وقال منذر بن سعيد: جوانبها، وهي النواحي، وقال مجاهد: هي الطرق والفجاج، وهذا قول جارٍ مع اللغة؛ لأنها تنكب يمنة ويسرة، وينكب الماشي فيها، فهي مناكب وهذه الآية تعديد نعم في تقريب التصرف للناس، وفي التمتع في رزق الله تعالى"[(2)].

ومن الأمثلة أيضًا ما ذكره ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾[سورة التغابن: 3]، حيث قال: "وهذا تعديد النعمة في حسن الخلقة، لأن أعضاء ابن آدم متصرفة لجميع ما تتصرف به أعضاء الحيوان، وبزيادات كثيرة فضل بها، ثم هو مفضل بحسن الوجه، وجمال الجوارح، وحجة هذا قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[سورة التين: 4]، وقال بعض العلماء: النعمة المعددة هنا إنما هي صورة الإنسان من حيث هو إنسان مدرك عاقل، فهذا هو الذي حسن له حتى لحق ذلك كمالات كثيرة. قال القاضي أبو محمد: والقول الأول أحرى في لغة العرب، لأنها لا تعرف الصور إلا الشكل"[(3)]. والأمثلة على ذلك كثيرة تدل على ترجيحه للأقوال بالمشهور من لغة العرب.

### 6.4 المطلب السادس: الترجيح بدلالة الناسخ والمنسوخ:

مسألة النسخ من المسائل التي كثر فيها الكلام سواء كان عند علماء الأصول أو علماء علوم القرآن، وهناك آيات عدة ادّعى البعض أن فيها نسخاً وليس كذلك. وقد اعتنى ابن عطية بذكر الناسخ والمنسوخ في تفسيره، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله: ﴿**وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ**

---

(1) قواعد الترجيح (363/2)

(2) المحرر الوجيز (357/8)

(3) المرجع السابق (8/ 319).

بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[سورة يونس: 41]. قال الإمام ابن عطية: "وقال كَثِير مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنهُمُ ابْنُ زَيْدٍ: هَذِهِ الآيَةُ مَنسُوخَة بِالقِتالِ لِأَنَّ هَذِهِ مَكِّيَّة، وهَذا صَحِيح" [1].

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما ذكره ابن عطية في تفسيره لقوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[سورة المزمل: 10]، قال ابن عطية: "قوله تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ)، قيل: هي موادعة منسوخة بآية السيف؛ والمراد بالآية قريش، وقال بعض العلماء: قوله: (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) منسوخ، وأما الصبر على ما يقولون فقد يتوجه أحيانًا ويبقى حكمه، فيما يتوجه من الهجر الجميل بين المسلمين؛ قال أبو الدرداء: إنا لنكشر في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم. والقول الأول أظهر؛ لأن الآية إنما هي في كفار قريش، وردهم رسالته وإعلامهم بذلك، ولا يمكن أن يكون الحكم في هذا المقام باقيًا"[2].

### 7.4 المطلب السابع: الترجيح بدلالة العموم:

يعتبر العموم عند العلماء من الأدلة المعتبرة في الترجيح، وحجة قوية ترجح بها الأقوال، وقد أجمع سلف الأمة من الصحابة والتابعين على إجراء ألفاظ الكتاب والسنة على العموم إلا لدليل على تخصيصه، ولقد ثبت أنهم كانوا يبطلون دليل الخصوص لا دليل العموم.

**والعام اصطلاحاً:** لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر[3]. قال مكي بن أبي طالب: "اعلم أن القرآن إذا أثبت اللفظة منه تعم ما تحتها حملت على ذلك من عمومها –وعند مالك وأصحابه-حتى يأتي ما يخصصها فتحمل عليه"[4].

قال ابن جزي الكلبي: "التاسع: تقديم العمومي على الخصوصي، فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على تخصيصه"[5]. والغالب في ألفاظ القرآن الكريم الشمول والعموم، وذلك أن أصل التشريع جاء عاماً، ومتى ما ورد نص يخصص عموم هذه الألفاظ صير إليه وعليه قاعدة "حمل

---

(1) المرجع السابق (485/11).

(2) المحرر الوجيز (444/8).

(3) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (43/3)، الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول،(285/1).

(4) لإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص 101.

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (19/1).

نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"[1] ، وهذه القاعدة أيضًا من القواعد الأصولية التي قررها علماء الأصول.

وقد استعمل الإمام ابن عطية هذا القاعدة في الترجيح كثيراً ومن ذلك، تفسيره لقوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [سورة يوسف: 90] قال القاضي أبو محمد: "قوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ مقصد اللفظ إنما هو العموم في العظائم" [2].

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة يونس: 54]، حيث يقول ابن عطية: "وأسَرُّوا لفظة تجيء بمعنى أخْفَوْا، وهي حينئذ من السر، وتجيء بمعنى أظهروا، وهي حينئذ من أسارير الوجه، قال الطبري: المعنى وأخفى رؤساء هؤلاء الكفار الندامة عن سَفِلَتِهِمْ ووُضَعائِهِمْ. قال القاضي أبو محمد: بل هو عام في جميعهم. و "ألا" اسْتِفْتاحٌ وتَنْبِيهٌ، ثم أوجب أن جميع ما في السماوات والأرض ملك لله تبارك وتعالى، قال الطبري: يقول فَلَيْسَ لِهَذا الكافِرِ يَوْمَئِذٍ شَيْءٌ يَقْتَدِي بِهِ. قال القاضي أبو محمد: ورَبْطُ الآيَتَيْنِ هَكَذا يَتَّجِهُ عَلى بُعْدٍ، ولَيْسَ هَذا مِن فَصِيحِ المَقاصِدِ،..."[3].

والأمثلة كثيرة التي تدل على ترجيح ابن عطية بدلالة العموم.

## 5. الخاتمة:

من خلال البحث ظهرت لي العديد من النتائج، أعرض أبرزها فيما يأتي:

1) عناية ابن عطية البالغة في الترجيح والاختيار.
2) اهتمام ابن عطية بالموازنة بين أقوال المفسّرين في التفسير.
3) تميّز ابن عطية في استخدام ألفاظ الترجيح، فيستخدم اللفظ المناسب الذي يعطي ترجيحه قوة ومكان.

---

(1) قواعد الترجيح، (528/2).
(2) المحرر الوجيز: (67/8).
(3) انظر: المحرر الوجيز، (492/11).

4) اتبع ابن عطية طرق وأساليب مختلفة في ترجيح أحد الأقوال على غيره في معنى الآية، وذلك بدلالات مختلفة، كالترجيح بدلالة نظائر القرآن، أو الترجيح بدلالة حديثٍ صحيحٍ، الترجيح بدلالة السياق، الترجيح بدلالة القراءات، الترجيح بدلالة اللغة أو التصريف والاشتقاق، الترجيح بدلالة الناسخ والمنسوخ، الترجيح بدلالة العموم.

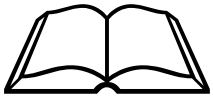

## 6. قائمة المصادر والمراجع:

1- الشوكاني، محمد بن على بن عبد الله اليمني، ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي وآخرين، الطبعة الأولى 1419هـ، دار الكتاب العربي، القاهرة.
2- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، 1415هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.
3- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،1394هـ/ 1974م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
4- لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، الطبعة الأولى، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
5- الزركشي، بدرالدين بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، الطبعة 1، 1414هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
6- أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، الطبعة الأولى 1420هـ، دار الفكر ـ بيروت.
7- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان ـ صيدا.
8- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، أبوالقاسم، محمد بن أحمد الغرناطي، تحقيق عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى 1416هـ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
9- أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير، تحقيق سامي سلامة، الطبعة الثانية 1420هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.
10- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى 1422هـ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
11- ابن فرحون، إبراهيم بن على، برهان الدين اليعمري، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر ـ القاهرة.
12- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من الباحثين، بإشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، 1405هـ، مؤسسة الرسالة.
13- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة 1407هـ، دار العلم للملايين ـ بيروت.
14- ابن تيمية، تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، الفتاوى الكبرى، الطبعة الأولى 1408هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

15- الحربي حسين على، قواعد الترجيح عند المفسرين، راجعه وقدم له مناع القطان، الطبعة الأولى 1417هـ، دار القاسم.
16- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي، لسان العرب، الطبعة الثالثة، 1414هـ، دار صادر، بيروت.
17- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 1416هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
18- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، 1422هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
19- الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري،المحصول، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، الطبعة الثالثة 1418هـ، مؤسسة الرسالة.
20- ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، 1399هـ، دار الفكر، بيروت.
21- الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الرازي مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الملقب بفخر الدين خطيب الري، الطبعة الثالثة، 1420هـ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
22- عبد الوهاب فايد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، 1393هـ.الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة.
23- الماوردي، أبو الحسن على بن محمد البصري، النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.